دراسات الأدب المعاصر، السنة الثالثة عشرة، خريف ۱۴۰۰، العدد الواحد والخمسون: صص ۳۳- ۵۶

تحليل الخطاب السردی فی الأدب المقاوم الفلسطينی(دراسة رواية "باب الساحة" نموذجاً)

نعيمه پراندوجی*
كبری روشنفكر**
مريم بخشنده***

تاريخ الوصول: ۹۹/۱۱/۲
تاريخ القبول: ۱۴۰۰/۲/۲

الملخّص

الخطاب السردی وسيلة هامة لإبراز الأفعال، والأحاديث، والأفكار الروائية؛ ويوجد من موقع الراوی والشخصيات الروائية، وهذا الموضوع قد حظی بعناية النقاد وعلماء الأسلوب فی العصر الحاضر، ومن أهم العلماء الذين تناولوا هذا الموضوع *ليتش وشورت*، وإنهما تحدثا عن خمسة أساليب فی الخطاب السردی وهی التقرير السردی، والأسلوب غير المباشر، والأسلوب الحر غير المباشر، الأسلوب المباشر، الأسلوب الحر المباشر فی استحضار الأقوال والأفكار. يقوم هذا المقال مستمداً من المنهج الوصفی ضمن احصاء الأفكار الروائية؛ بتحليل طرق استحضار الأفكار فی رواية «باب الساحة»(۱۹۹۰م) *لسحر خليفة*؛ نتائج البحث تدل علی أن الراوی قد استمد من الفكر المباشر، والتقرير السردی للأفكار، والفكر الحر غير المباشر كإطار لسرده الروائی؛ لأن الفكر المباشر يتيح الفرصة للشخصيات كی تعبروا عن خلجانات نفوسهم فی مختلف المجالات السياسية، والإجتماعية و... واستخدام الأسلوب الحر غير المباشر يسبب لكی ينتقل الموضوع من قبل خلال صوتين إلی القارئ: صوت الشخصية وصوت الراوی. وهذا الأمر يؤدی إلی تأثير الرواية بصورة قوية إلی القارئ. وسحر خليفة من خلال هذه الأساليب ترسم المجتمع الفلسطينی وحياة المرأة فيه بصورة دقيقة وشاملة خلال السنوات الأولی للإنتفاضة.

الكلمات الدليلية: الأدب المقاوم، الخطاب السردی، الرواية الفلسطينية، سحر خليفة.

*أستاذة مساعدة فی قسم اللغه العربية وآدابها بجامعة كوثر بجنورد، بجنورد، ايران. Parandavaji@kub.ac.ir
** أستاذة فی قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة تربيت مدرس، طهران، ايران. Kroshan@yahoo.com
*** خريجة الدكتوراه فی قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة فردوسی مشهد، مشهد، ايران.
Maryambakhshandeh1392@gmail.com
الكاتبة المسؤولة: نعيمه پراندوجی

المقدمة

الخطاب السردى وهو أسلوبٌ نقدى يهتم بمكونات السرد وتحليلها وإبراز ما فيها من جمال لغوى ودلالى. إن أهم مباحث السرد هو ما يتعلق بالأساليب السردية لاستحضار الأقوال والأفكار. فهى تنقسم حسب درجة هيمنة السارد أو قلة هيمنته إلى خمسة أساليب وهى التقريرالسردى والأسلوب المباشر والأسلوب غير المباشر والأسلوب الحر غير المباشر وأسلوب الحر المباشر للأفكار والأقوال.

الرواية المعاصرة تعد من الفنون الأدبية الهامة التى تلعب دوراً هاماً فى تسجيل الحوادث المختلفة فى المجتمع البشرى وتستطيع أن تغوض فى أعماق الذات الفردية والإجتماعية وتنعكس مسائل ومشاكل الحياة التاريخية، والاجتماعية والاقتصادية والنفسية و... للانسان المعاصر. وبسبب أهمية الرواية ودورها الهام فى المجتمع الإنسانى فى ترسيم المشاكل المتعددة ومواكبتها مع التغييرات التى طرأت على الحياة البشرية؛ لذلك نشاهد أن كثيراً من الروايات عمَّرت سنوات عديدة على الرغم مرور سنوات عديدة على تأليفها. وبعض هذه الروايات عبّرت الحدود السياسية واللغوية وترجموا إلى اللغات المختلفة. لهذا أصبحت الرواية من الفنون الأدبية الهامة فى الأدب البشرى، وإهتموا الأدباء، و النقاد إلى دراستها وتحليلها، ومن هذه الأساليب يمكن الإشارة إلى تحليل الخطاب السردى للرواية.

ظهرت الرواية فى بداية الأمر فى الآداب الأروبية ثم نقلت إلى الأدب العربى من خلال الترجمة والبعثات العلمية والأدبية التى أرسلوا إلى البلدان الأروبية للدراسة. ومن البلدان العربية التى إهتمت إلى فن الرواية هى فلسطين. الأدب الفلسطينى عرف فن الرواية منذ بدايات قرن العشرين ومن ذاك الزمن حتى اليوم الحاضر لعبت الرواية الفلسطينية دوراً هاماً فى مواكبة التغييرات والحوادث التى طرأت على المجتمع الفلسطينى. ومن الحوادث الهامة فى المجتمع الفلسطينى يمكننا الإشارة إلى مسألة الإحتلال، والإنتفاضة، وحرب ١٩٦٧، و... التى أثرت تأثيراً كثيراً فى المجمتع وأصبحت من الموضوعات الهامة فى الروايات الفلسطينية. من الروائيات المعاصرة التى أهتمت إلى مسألة فلسطين فى رواياتها هى *سحر عدنان خليفة* التى ألفت روايات عديدة وإهتمت فيها إلى مسألة فلسطين والمجمتع الفلسطينى بكل أبعاده. ومن الروايات التى ألفتها هى رواية «باب الساحة» التى

تقف عند موضوع الانتفاضة الأولى الفلسطينية. ترسم هذه الرواية المجتمع الفلسطينى خلال سنوات الإنتفاضة الأولى بشكل تام وخاصة تصور أوضاع حياة المرأة بصورة دقيقة وشاملة بحيث يتلقى القارئ تصويراً دقيقاً من اوضاع حياة الشعب الفلسطينى خلال تلك السنوات. بسبب أهمية هذه الرواية وأهمية تحليل الخطاب السردى فى دراسة الرواية وكشف جمالياتها يقوم هذا المقال عن طريق المنهج الوصفى- التحليلى بدراسة أثر الإنتفاضة الأولى فى حياة المرأة الفلسطينية النابلسية خلال سنوات ١٩٨٧م ومابعدها، لكى يرسم تصويراً دقيقاً من المجتمع الفلسطينى إبان الإنتفاضة ويكشف عن الجوانب المختلفة لحياة الشعب الفلسطينى عامة وحياة المرأة الفلسطينية خاصة فى ظل الإنتفاضة. لهذا يسعى أن يجيب إلى هذا السؤال:

- كيف استفادت *سحر خليفة* من أساليب الأفكار السردية لكى ترسم تصويراً دقيقاً وشاملاً من الحياة الفلسطينية فى ظلّ الإنتفاضة؟

خلفية البحث

لقد ألف حول سحر خليفة وآثارها العديد من المقالات والأطروحات الجامعية، ومن بينها يمكن أن نشير إلى البحوث التالية:كتب *بسام ابوبشير*، مقالة عنوانه: «جماليات االمكان فى رواية "باب الساحة"»(٢٠٠٧م)، فى مجلة الموقف الأدبى ودرس فيه المكان ووظائفه فى هذه الرواية. نشرت *ماجدة حمود*، مقالتين حول *سحر خليفة* عنوانهما «الخطاب الروائى عند سحر خليفة»(١٩٩٣)، فى مجلة الموقف الأدبى، ودرست فيها عناصر المكان، والزمان، ودلالة العنوان و... فى روايات «الصبار»، «عباد الشمس»، «لم نعد جوارى لكم»، «مذكرات إمرأة غير واقعية» و«باب الساحة». ومقالة «المرأة فى روايات سحر خليفة»(١٩٩٤)، وبحثت فيها الشخصيات النسوية فى الروايات آنفة الذكر. كتب *فرامرز ميرزايى*، مقالة عنوانها «الخصائص السردية وجمالياتها فى رواية "الصبار" لسحر خليفة»(٢٠١١)، فى مجلة جامعة ابن رشد، فيلادلفيا ودرس فيها الخصائص السردية فى الرواية. شاركت *كبرى روشنفكر*، فى المؤتمر الدولى الثالث فى ماليزيا «الإتجاهات الحديثة فى الدراسات اللغوية والأدبية»، ببحث عنوانه «الثورة النسوية فى "مذكرات إمرأة غير واقعية»(٢٠١١). نشر *صلاح الدين عبدى*، مقالة عنوانها «تجليات المقاومة فى بعض

آثار سحر خليفة»(١٣٩٠)، مجلة النقد الأدبی، بجامعة شهيد بهشتی، ايـران، ودرس فيهـا مضامين المقاومة فی ثنائية *سحر خليفة*. نشر *محمد صالح شريف‌عسكری* مقالـة «مفهـوم الوطن وتجليات الوطنية والوحدة عند سـحر خليفـة مـن خـلال ثنائيتهـا: الصـبار وعبـاد الشمس»(١٣٩٠)، فی مجلة اللغة العربية وآدابها بجامعة إصفهان، إيران.

قدكتبت حول سحر خليفة وآثارها عدة رسالات جامعية فی إيران والوطن العربی ومن بينها يمكن الإشارة إلى رسالة *وائل علی قالح الصمادی*، عنوانها «صورة المرأة فی روايـات سحر خليفة»(٢٠٠٦)، فی جامعة آل بيت، أردن وفی سنة ٢٠١٠ نشرت هذه الرسالة، فی كتاب عنوانه «صورة المرأة فی روايات سحر خليفة» فـی دار دروب، عمـان. وكتـب *غـدير رضوان طوالح* أطروحة عنوانها «المرأة فی روايـات سـحر خليفـه»(٢٠٠٦)، وناقشـها فـی جامعة بيرزيت، فلسطين. كتبت *مونا توسلی* أطروحة، عنوانها «دراسة آثـار سـحر خليفـة (روايتی باب الساحة ومذكرات إمـرأة غيـر واقعيـة نموذجـا)» ناقشـت هـذه الرسـالة فـی المبحث العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية(١٣٨٧) طهران. درست *زهره باقرپور* فی بحث جامعية عنوانه «المرأة فی ثنائية سحر خليفة: الصَّـبَّار وعَبَّـاد الشَّـمس»(١٣٩٠)، بجامعـة تربيت معلم، طهران، ودرست فيها دور المـرأة فـی ثنائيـة *سـحر خليفـة*. نـاقش *روح الله واحدی* رسالته الجامعية فی مرحلة الدكتوراه، عنوانها «الأسلوب فی روايات سحر خليفـة» (١٣٩١)، جامعة همذان، إيران.

بعد إمعان النظر فی الدراسات التی ألفت حول *سحر خليفة* وآثارهـا، فهمنـا لـم‌ينشـر حتی الآن بحث حول تحليل الخطاب السردی فی روايـات *سـحر خليفـة* وروايتهـا «بـاب الساحة». هذا المقال يهدف إلى دراسة هذا الموضوع، لكی يرسم تصويراً دقيقاً مـن حيـاة الشعب والمرأة الفلسـطينی فـی الإنتفاضـة الأولـی ويـدرس تـأثير الإنتفاضـة علـی حيـاة الفلسطينيين.

نبذة عن حياة سحر خليفة وآثارها الأدبية

قاصة فلسطينية *سحر عدنان خليفة* ولدت فی مدينة نابلس سنة ١٩٤١م. حيث تلقت دراستها الإبتدائية، والثانوية، وتابعت دراستها الجامعية فی جامعة بيرزيت بالضـفة الغربيـة متخصصة بـالأدب الإنجليـزی. حصـلت علـی شـهادة الماجسـتير فـی الأدب الإنجليـزی،

والدكتوراه فى دراسات المرأة من جامعة إيوا بالولايات المتحدة الامريكية(زيدان، ١٩٩٠: ٢٣٦). وأصبحت معروفة فى مدينتها بسبب موقفها من موضوع تحرير المرأة. وتزوّجت فى سن مبكرة زواجاً تقليدياً، وبعد مرور ثلاثة عشر عاماً من الإحباط وخيبة الأمل قررت أن تتحرر من هذا الزواج، وتكرّس حياتها للكتابة(الجيوسى، ١٩٩٧: ٢٢٩). إنها قد ألفت العديد من الروايات حول الأدب المقاوم الفلسطينى بحيث أصبحت رواياتها معروفة فى مجال الأدب العربى، والعالمى. إنها حتى الآن ألّفت عشر روايات هى «لم نعد جوارى لكم»(١٩٧٤)، و«الصبار»(١٩٧٦)، و«عباد الشمس»(١٩٨٠)، و«مذكرات إمرأة غير واقعية»(١٩٨٦)، و«الميراث»(٢٠٠٢)، و«صورة أيقونة وعهد قديم»(٢٠٠٢)، و«ربيع حار»(٢٠٠٤)، و«أصل وفصل»(٢٠٠٩)، و«حبى الأول»(٢٠١٠).

من اللافت للنظر أن غالبية روايات *سحر خليفة* ترجمت إلى أكثر اللغات العالمية، ولكن من الملحوظ عن أعمالها الأدبية هى ترجمة أعمالها الروائى إلى الألمانية، واهتمام الدارسين الألمان إلى هذه الراوئية(الأسطة، ١٩٩٧: ۴). لقد نقلت نصوص *سحر* كلها، باستثناء رواية «لم نعد جوارى لكم» إلى الألمانية، وقد ترجمت رواياتها إلى اللغات الإنجليزية، والإيطالية، والمالزية، والفرنسية وألخ.

فتعدّ روايات *سحر خليفة* جديرة بالدراسة، والترجمة لما تحمله من مضامين إنسانية، وحضارية، وعالمية مثل المقاومة، والاحتلال، وتحرير المرأة، و... فليس من العجيب إذ تأتى إبداعاتها فى المرتبة الثانية من حيث الترجمة بعد *نجيب محفوظ، وغسان كنفانى* (أبوبشير، ٢٠٠٧: ٢٧٢).

وفى عملها الروائى تعبّر *سحر خليفة* عن إيمانها العميق بأن وعى المرأة النسوى هو جزء لا يتجزأ من وعيها السياسى، وهى ترينا فى رواياتها، وبأسلوب فنّى مقنع، أن نضال المرأة الفلسطينية، والمحن التى تمرّ بها هى جزء من النضال الفلسطينى العام من أجل التحرّر(الجيوسى، ١٩٩٧: ٢٢٩).

رواية باب الساحة ومضمونها السردى

سحر خليفة واحدة من الروائيين الفلسطينين الذين كتبوا حول فلسطين والمقاومة الفلسطينية آثاراً عديدة واشتهر بعض رواياتها فى المجال الدولى ومنها يمكن الإشارة إلى رواية «باب الساحة» التى قد ترجمت إلى اللغات العديدة وقد درجت ضمن أفضل مائة

رواية عربية. تعالج هذه الرواية الانتفاضة الفلسطينية التى امتدت على مدى سنوات(منذ عام ١٩٨٧- ١٩٩٣) وقد صدرت عام ١٩٩٠. وقد تبدو الرواية للوهلة الأولى نصاً عن الانتفاضة، وقراءة الرواية تقول بشيء آخر، فهى نص عن وضع المرأة فى وعى المنتفض، فقد كتبت سحر عن قهر المرأة فى لحظات زمنية مختلفة، ورأت فى الإنتفاضة لحظة زمنية جديدة، وعاينت فيها وضع المرأة من جديد(حطينى، ٢٠٠٠: : http://awu-dam.net).

تدور أحداث الرواية فى مدينة نابلس، كبرى مدن الضفة الغربية مساحةً وسكاناً وترسم الرواية هذه المدينة إبان الإنتفاضة الأولى وتشكلت من تسع لوحات: أمالشباب، سكان الدار المشبوهة، آخر العنقود، اعتقال حديث، مضاعف، مركب، المشتاق للأفاق، هى المشدودة للقطبين، وبوابة. كل لوحة تختص بموضوع ما.

تقول سحر *خليفة* فى سبب كتابة هذه الرواية: انطلقت الانتفاضة فى كانون الثانى (يناير ١٩٨٧)، فغادرت أميركا بعد أسابيع وعدت إلى الضفة لأشهد ما يوقف شعر الرأس. نساء وأطفال فى الشوارع، يضربون ويتلقون الضرب دون أن يرمش لهم جفن. شباب وكهول فى المعتقلات والبرارى وكهوف الجبال، ورصاص حى بالمليان، وغازات ودبابات، وصوت الأذان فى السماعات "الله اكبر" واقتحام الجوامع بالبساطير والقنابل، والأناشيد من كاسيتات فى كل مكان، والواقع سريع فى الشارع والدم الحار. كانت أيام كالأحلام وقصص التضحيات والبطولة كقصص نقرأها فى كتب الأدب والتاريخ، والمرأة تثبت لنا أن الأنثى ليست نكرة، بل قلب وعقل ومشاعر وضمير حى للثورة. من ذلك الحلم، من ذلك الزخم، من الخطوة السريعة والنبض الحار، كتبت وعبرت «باب الساحة»(خليفة، ١٩٩٨: ٢٤٩).

الخطاب السردى فى الرواية

الخطاب من المصطلحات الألسنية الحديثة التى استعملت فى دلالتها الجديدة عن طريق الترجمة، على الرغم من وجود هذا اللفظ فى العربية منذ فجر تاريخها(مرتاض، ١٩٩١: ٢٠٧). والمراد من الخطاب الروائى هى الطريقة التى تقدّم بها المادة الحكائية فى الرواية. وعلى هذا الأساس يهتم به علم السرد. مستوى الخطاب السردى ينبع من كون العمل السردى هو كلام واقعى موجه من طرف سارد إلى قارئ، وعلى هذا المستوى

ليست الأحداث التى يتم نقلها هى التى تهم الناقد وإنما الكيفية التى إطلعنا السارد على تلك الأحداث(بانفيلد، ١٩٩٨: ٩٤).

الدراسات السردية ظهرت فى البداية فى دراسات البنيوية الشكلانية وعند *كلود ليفى اشتراوس*، ثم تنامى هذا الحقل فى أعمال دارسين بنيويين آخرين، منهم *تزوتان تودوروف*، الذى يعده البعض أول من استعمل مصطلح "ناراتولوجى"(علم السرد)، *وجوليان غريماس*، *وجيرالد برنس*، وفى فترة تالية تعرض تغييرات فرضها دخول تيارات فكرية ونقدية أخرى، إما تمت مظلة ما بعد البنيوية، كما فى أعمال *رولان بارت* *وفريدريک جيمسون*(الرويلى والبازعى، ٢٠٠٥: ١٧٤). وفى العصور المتأخرة دامت الدراسات االسردية فى الدراسات الأسلوبية الحديثة وخاصة عند كل من *روجر فاولر*، *وباختين*، *وجيرار جينيت*، *وليتش وشورت* و... .

تناول الأسلوبيين الجدد السرد من حيث العلاقة بين موقع الراوى والأسلوب السردى، ودرسوه من عدة زوايا، من أهمها دراسات *ليتش وشورت* فى كتابهما «style in fiction» وإنهما تناولا هذه القضية من زاوية المسافة التى تفصل بين السارد وموقع الشخصيات، فقد رأوا أن السارد ليس إلا وسيطاً بين الشخصيات والقارئ، وأن دوره يقوم على عرض الأحاديث والأفكار التى تتكلم بها الشخصيات. هذا السارد قد يتيح للشخصيات حرية كاملة فى أن تقول ما تشاء، ولا يتدخل هو فى كلامها أبداً، وقد يكمم أفواه الشخصيات فيتحدث هو نيابة عنها، ولا يتيح لها أية فرصة للتعبير المباشر عن ذاتها، وقد يكون فى مرحلة من المراحل التى تفصل بين هذين القطبين المتنافرين(الكردى، ١٩٩٦: ١٦٢) وتنشأ عن ذلک عدة أساليب فى عرض الأحاديث والأفكار حصرها *ليتش وشورت* فى خمسة أساليب وهى الكلام المباشر، والكلام غير المباشر، والكلام الحر المباشر، والكلام الحر غير المباشر، والتقرير السردى للأقوال والأفكار(Leech &Short, 2007: 255- 279).

إن سحر *خليفة* قد استفادت فى هذه الرواية من كل الأساليب المذكورة للأقوال والأفكار. بما أن حوادث الرواية تدور حول المسائل التى مرت بالمرأة فى ظل الإنتفاضة والمصائب التى تواجهها المرأة فى سنوات الاحتلال والانتفاضة، لهذا السبب كثيراً ما نشاهد الشخصيات تلجأون إلى أفكارهم المباشرة وغير المباشرة فى الراوية، لترسموا المسائل التى مرت بالمرأة فى المجتمع الفلسطينى آنذاک وخلال الانتفاضة.

الخطاب السردى فى رواية باب الساحة

لتحليل الخطاب السردى فى الرواية قمنا بإحصاء الأفكار السردية فـى الروايـة ورسـمنا النتيجة فى الجدول على النحو التالى.

جدول تردد إستحضار الأفكار فى رواية «باب الساحة»

الفكر المباشر (DT)	الفكر غير المباشر (IT)	الفكر المباشر الحر (FDT)	الفكر غير المباشر الحر (FIT)	تقرير الأفكار (RT)
٤٧	٥	٥	١٢	٢٥

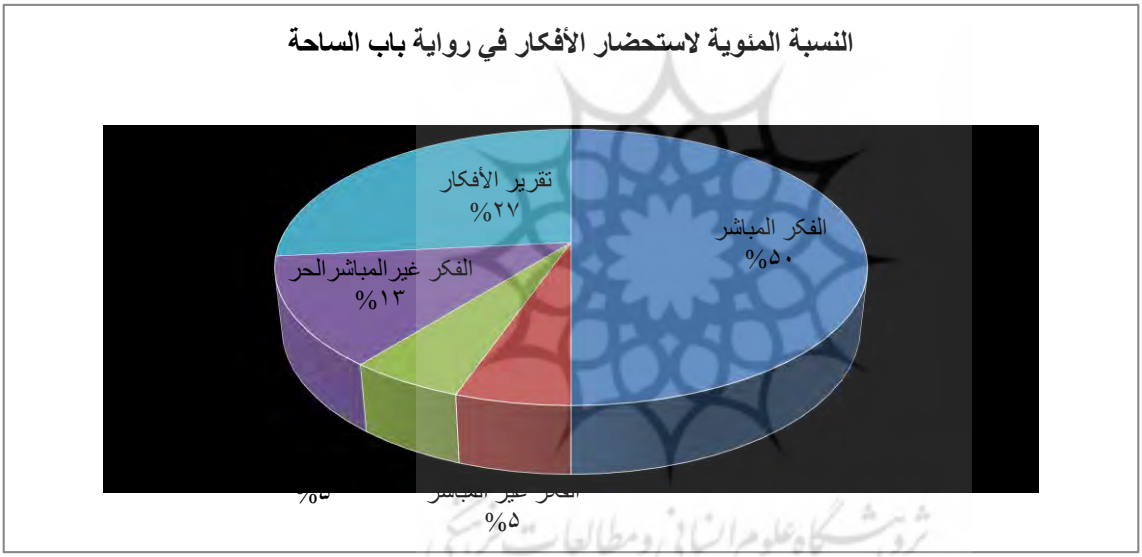

على أساس الجدول السابقة نشاهد إن الفكر المباشر(٥٠٪)، أكثر استعمالاً فـى الروايـة وبعدها يجىء التقرير السردى للأفكار(٢٧٪)، والفكر غير المباشر الحر(١٣٪)، والفكـر غيـر المباشر(٥٪) والفكر المباشر(٥٪). بعبارة أخرى الأسلوب السردى الذى تتخذه سحر *خليفة* إطاراً لسردها فى الرواية، هو الفكر المباشر، ثم الكلام تقرير الأفكار، ثم الفكر غير المباشـر الحر. وفى هذا القسم من المقال نقوم بتحليل أساليب استحضار الأفكار فـى الراويـة علـى أساس كثرة حضور الأساليب فى الرواية، وبما أن الفكر المباشـر يحتـل المقـام الأول فـى الرواية، فنبدأ به.

١.الفكر المباشر

والسارد فى هذا الأسلوب يقدم المادة المنقولة بعبارة تدل على بداية الفكر المنقول، وإذا كانت هذه العبارة تأتى فى أسلوب الكلام المباشر على شاكلة العبارات "فكَّر"، و"أخلد إلى فكره" و"تأمَّل" *وغيرذلک*، ثم يأتى بعدها مباشرة الفكر الذى دار فى عقل الشخصية المفكرة(الكردى، ٢٠٠٦: ٢١٤).

قد استعملت *سحر خليفة*، كثيراً من الفكر المباشر فى رواية «باب الساحة»، لأن هذه التقنية، تتيح الفرصة للشخصيات لكى تتحدث عن أنفسها، فتكشف بوضوح عن عالمها الداخلى، وموقفها من الآخرين، والعالم المحيط بها. ونشاهد فى الرواية تلجأ كل من الشخصيات الروائية مثل نزهة، وسمر، والسيدة زكية، وحسام إلى الفكر المباشر لكى يكشفوا للقارئ عن فكرهم وموضعهم أمام الحوادث والمواقف.

كثير من الفكر المباشر فى الرواية يتعلق لشخصية الست زكية، القابلة التى تضطر أن تذهب من بيت إلى بيت آخر فى الليل والنهار وفى كل أيام السنة. المثال التالى ينقل لنا فكر الست زكية، بصورة مباشرة. وهذا الأسلوب إلى جانب نقل المضمون، ينقل للقارئ إحساس زكية حيال الجنود الإسرائيلية:

«ابتَسَمَت: يَخَافُونَ كلَّ شىءٍ حَتى الحِقنِ وَيَتَوَجَّسُونَ مِن كُلِّ مَخلُوقٍ حَتى القِطَطِ»(خليفة، ١٩٩٩: ١٣)

فى هذا الفكر المباشر تسخر الست زكية الجنود الإسرائيلية، على أنهم رغم قدرتهم الظاهرية يخافون من الحقن والقطط وهذا خير دليل على موضع الجنود الإسرائيلية الباطلة حيال القضيية الفلسطينية ونفسياتهم الضعيفة. سرد هذا الموضوع بالأسلوب المباشر يسبب لكى‌يؤثر فى نفس القارئ بصورة قوية.

شخصية *الست زكية*، القابلة، فى الرواية وطبيعة حرفتها تتطلب منها أن‌تذهب من بيت إلى بيت ومن زقاق وحارة إلى زقاق وحارة أخرى فى كل ساعات اليوم وفصول السنة، فى منتصف الليل وفى برد الشتاء وحار الصيف. بما أن فى الأيام الأولى للإنتفاضة كانت المدينة وحاراتها مليئة بالجنود الإسرائيلية، وإنها فى كثير من الأحيان تخاف من السير الليلية. والفكر المباشر التالى ينقل لنا هذا الخوف والتوجس لها ويصور الخوف الذى قد سيطر على حياة المرأة الفلسطينية والست زكية بصوره مباشرة:

«لَحَمَت خَلفَ تَنَکِ الزِّبالَةِ خَيالاتٍ سَوداءَ. وَبَدأَ قَلبُها يَتَخَبَّطُ فَكَادَت أن تُصَابَ بِنَوبَةٍ. مَاذَا لَو رَشَقُوا حَجَراً؟ مَاذَا لَو قَنِينَةَ مُولُوتُوفٍ؟ مَاذا لَوِ اشتَبَکَ الطَّرَفَان وَهِي مَازَالَت وَسطَ الشّارِعِ»(المصدر نفسه: ١٤)

مثال آخر من أفكار الست زكية المباشرة:

«حَوَّمَتِ الكَلِمَةُ فِي رَأسِها وَدَارَت: سَمِعناهَا. سَمِعناها. سَمِعوهَا؟ أنتَ ومَن؟ أنتَ وَهُم؟ هُم مَن نَطُّوا عَن سَطحِها وَضَرَبُوها؟ هُم مَن أغمَدُوا السِّكِّينَ فِي صَدرِ أُمِّها حَتّى المَقبَضِ؟ أنتَ مِنهُم؟

ـ وَلَم تَجرُؤُ عَلَى سُؤالِهِ. كانَت تَخَافُ مِن كَلِمةِ نَعَم. مَاذا لَو قالَ لَها نَعَم؟ مَاذَا لَو لَوَّحَ بِيَدِهِ: أنا مَن يَحكُمُ ويُحاكِمُ، وَبِيدِي هَذِهِ؟»(المصدر نفسه: ٤٣)

قسم من الأفكار المباشرة فى الرواية يتعلق لشخصية حسام، الشاب المناضل الذى قد جرح أثناء الإنتفاضة ولجأ إلى بيت نزهة. إنه ككل سكان الحارة ينظر إلى نزهة بعين الحقارة، ويعتقد إن نزهة تستحق العذاب ولذلک حينما تخاف نزهة من الإشتباكات الليلية، يتعجب من هذا الموضوع ويفكر:

«حَدَجَها كَما لَو كانَ يُعَيِّرُها: أنتِ تَخافِينَ؟ أنتِ نُزهَةُ بِنتُ سَكينةَ وَالدَارُ المَشبُوهَةُ وَالعُرَى وَالمُخَدّراتُ وَأعمَالُ التَجَسُّسِ، أنتِ تَخَافِينَ؟ الجُرحُ يُوجِعُ يَا بنتَ ال ...»(المصدر نفسه: ٦٨)

وحينما تتكلم وتتلفظ نزهة ألفاظ قذرة، يتعجب حسام منها وهذا التعجب قد انتقل إلى القارئ بالفكر المباشر:

«ظَلَّ يُحَملِقُ فِيها مَشدُوهَاً: وَجهٌ بَرِيءٌ، وَلِسانٌ بَذِيءٌ، وَفِعالٌ قَذِرَةٌ! مَن يَقُولُ إنَّ وَجهَاً كَهَذا باستِطاعَتِهِ التَفَوُّهُ بأقوَالٍ كَهذِهِ!»(المصدر نفسه: ٧٤)

«وَانتَبَهَ يُحَملِقُ فِيها مَشدُوهَاً: أنا مُعتَقَلٌ، ودارُ سَكِينةَ مُعتَقِلِي، وَسُقُوطُ نُزهَةَ سَجّانِي، وَالحارّةُ مُطَوَّقَةٌ بِالعَسكَرِ، وَالنُقطَةُ وَالبَوّابَةُ الحَدِيدُ»(المصدر نفسه: ٧٧)

فى الفكر المباشر السابق، يغرق حسام فى أفكاره ويتنبه ويتذكر لنفسه إنه محبوس فى بيت نزهة المشبوهة والحارة مليئة بالجنود الإسرائيلية، إن هذا الموضوع والفساد الأخلاقى لنزهة يسبب لكى يحزن وهذا الأمر يجرح قلبه؛ موقف حسام وانفراده فى بيت

نزهة، يسبب لكى يلجأ إلى فكره المباشر، لأنه لا يجد أىَّ شخص لكى يتحدث معه ولهذا يلجأ إلى أفكاره. هذه التقنية يسبب أن يتلقى القارئ فكر حسام مباشرة ودون وسيط ويلمس من قريب المسائل التى تواجهها الشباب الفلسطينيين خلال سنوات الانتفاضة الأولى.

وهذا الفكر المباشر خير دليل على كون رواية «باب الساحة» رواية واقعية وتسجيلية لأن تقول *سحر خليفة* فى سبب كتابة هذه الرواية: «انطلقت الانتفاضة فى كانون الثانى (يناير ١٩٨٧)، فغادرت أميركا بعد أسابيع وعدت إلى الضفة لأشهد ما يوقف شعر الرأس. نساء وأطفال فى الشوارع، يضربون ويتلقون الضرب دون أن يرمش لهم جفن. شباب وكهول فى المعتقلات والبرارى وكهوف الجبال، ورصاص حى بالمليان، وغازات ودبابات، وصوت الأذان فى السماعات "الله اكبر" واقتحام الجوامع بالبساطير والقنابل، والأناشيد من كاسيتات فى كل مكان، والواقع سريع فى الشارع والدم الحار. و... من ذلك الزخم، من الخطوة السريعة والنبض الحار، كتبت وعبرت "باب الساحة"»(خليفة، ١٩٩٨: ٢٤٩).

قسم من الفكر المباشر فى الرواية يتعلق لشخصية نزهة:

«بَحثٌ عِلمىٌ؟ أىُ بَحثٍ عِلمِيٍّ، هَاتِ لِنشُوفَ شُو بُدُّكِ مِنِّى؟ أكيدٌ بُدُّكِ تَعرِفِى لِيش صِرتُ هِيكَ وَأكيدٌ بُدُّكِ تَعرِفِى لِيش صَارَ لأمِى هِيكَ. وَأكيدٌ بُدُّكِ تَعرِفِى لِيش صارَ لِدارِنا هِيكَ. بَحثٌ عِلمىٌ؟ تَشرَّفنَا يا بَحثُ علمىٌّ!» (خليفة، ١٩٩٩: ٩٨)

إن نزهة غارقة فى انفرادها وترى إن كل المصائب التى واجهتها فى حياتها من قبل الإحتلال والانتفاضة وهذه الانتفاضة سببت لكى تموت أمها، وتبدلت بيتها إلى الدار المشبوهة ولجأ أخوها أحمد إلى البيارى والجبال. وفى رأيها إنجاز البحث العلمى حول الانتفاضة امر لا طائل لها. وبما أن كل من سمر وحسام من المنتفضين فإنها لا تستطيع أن تدلى برأيها بصراحة وهذا الأمر قد أدى إلى أن تلجأ إلى فكرها المباشر.

قسم من الفكر المباشر فى الرواية يتعلق لشخصية سمر، الباحثة الإجتماعية. إنها تبحث عن أثر الإنتفاضة فى حياة المرأة النابلسية ولهذا تذهب إلى بيوت النساء المتعددة وتسأل عنهم عن أثر الإنتفاضة على حياتهم العائلية والشغلية. الفكر المباشر الذى يلى يصور لنا أوضاع الشباب الفلسطينيين:

«اندَلَعَتِ الدُّمُوعُ إلَى عَينِی سَـمَرَ وَاختَلَطَـتِ الأبعَـادُ عَلَيهـا. سَـامِحٌ وَحُسـامٌ وَأحمَدُ وَصَادِقٌ، وَأينَ البَقيَّةُ وَأيـنَ الشّـبَابُ؟ سَـامِحٌ شَـهِيدٌ وَحُسـامٌ سَـاخِنٌ وَأحمَدُ مُطارَدٌ وَصَادِقٌ مَحجُوزٌ فِی بَيتِه. الكُلّ مَحجُوزٌ وَمُطَارَدٌ، الكُلُّ قَعِيـدٌ لَـا يَبرَحُ، وَمُنِعَ التَجوّلُ وَالنُقطَةُ، وَهَذه البَوّابَةُ هَذا السَدُّ!»(المصدر السابق: ١٢٥)

من خلال الفكر المباشر لسمر يكتسب القارئ تصويراً دقيقاً من أوضاع الشباب الفلسطينيين فی ظل الإنتفاضة ويفهم إن عدد منهم قد استشهدوا فی سبيل الدفاع عن الوطن وعدد منهم قد حبسوا فی سجون إسرائيل أو فی بيوتهم ولا يمكن لهم أن يخرجوا من بيوتهم وقسم آخر شردوا فی البراری والجبال وقسم آخر قد جرحوا. هذه أوضاع الشباب الفلسطيين وإن السارد قد رسم أوضاعهم من خلال الفكر المباشر وهذا الأمر يؤدی أن ينقل الموضوع مباشرة إلی القارئ ويزيد فی تأثير الموضوع وإلی جانب انتقال الموضوع ينتقل إحساس وموضع الشخصية، سمر، وإنالقارئ يتلقی حزن سمر وأسفها دون الوسيط والقارئ يشارک الشخصية فی حزنها وأسفها.

٢.تقرير الأفكار

يعتمد هذا الأسلوب علی أن السارد يتولی بنفسه التعبير عن الأفكار التی تدور فی أذهان الشخصيات، ولا يتيح لهذه الشخصيات المفكرة أن تدلی بدلوها مباشرة فی مجال العرض، فهی وإن كانت قد فعلت الفكر، إلا أن السارد هو الذی يبدو وكأنه هو الذی فعل الوعی بهذا الفكر، وصاغ هذا الوعی صياغة تخاطب عقل القارئ بأسلوبه هو، أی السارد ومن زاوية رؤيته هو، فالسارد هو الذی يعرض وهو الذی يقوم هذا الفكر بفكره هو، وهو الذی تظهر صوته ويرتفع صوته ولهجته(الكردی، ٢٠٠٦: ٢١٨).

فی هذا الأسلوب يقوم الراوی بسرد أفكار الشخصيات الرائية بألفاظه وعباراته ولا يسمح للشخصيات الحضور فی الرواية. هذا الأسلوب قد إحتل المقام الثانی فی رواية «باب الساحة» من حيث كثرة الحضور. والأفكار المسرودة فی الرواية تتعلق لأفكار الست زكية، حسام، نزهة وسمر. المثال التالی نموذج من أفكار المسرودة للست زكية:

«وفَكَّرَت بِالعَتمَةِ الَّتِی تَخافُها خَوفَها مِنَ العَفارِيتِ وَالجِـنِّ. وَفَكَّـرَت بِزِيـاراتِ اللّيلِ وَالشَّوارِعِ وتَحَرُّشَاتِ الجَيشِ. أكثَرُ ما يُخِيفُها هُو اللّيلُ، اللّيـلُ وَالعَتمَـةُ

وَاقتِحَاماتُ الجَيشِ وَالاشتِباكاتُ المُفَاجِئَةُ. وَجَرحَى الصُّدفَةِ. وَالأنكى مِن ذلِكَ كُلِّه، الخَوفُ الَّذِى تَحُسُّه وَلا تجرُؤُ عَلَى البَوحِ بِهِ. وَأحيانَاً، تَدفَعُها الأحداثُ دَفعَاً وَتَجِدُ نَفسَها فِى قَلبِ الظَّرفِ حَيثُ لا مَجالَ لِلإختِباءِ أو التَهَرُّبِ. وَتَنقَلِبُ أدَواتِها البَسِيطَةَ أدَواتِ جَرَاحَة. فَتُخيِّطُ هذا وتُجَبِّرُ ذاكَ وَتَستَخرِجُ رَصَاصَةً وَتَحقِنُ إبرَةً. فَهِىَ المُمَرِّضَةُ وَالدّايَةُ، وَهِىَ البَشِيرَةُ وَالنّذِيرَةُ، هِىَ الحَمَامَةُوالبُومَةُ. تَدورُ مِن دارٍ لِدارٍ لِنَقلِ البِشَارَةِ وَخَبَرِ الشُؤمِ» (خليفة،١٩٩٩: ٢١ و ٢٢)

ومن وظائف هذا الأسلوب هو نقل الحقائق والحوادث فى العبارات الموجزة إلى القارئ. وكثيراً ما نشاهد السارد يستمد من هذا الأسلوب لترسيم أوضاع الناس والشباب الفلسطينية فى ظل الانتفاضة، كترسيم التغييرات التى طرأت على حياة المناضلين بعد الإنتفاضة، وهجوم الجنود الإسرائيلية الليلية إليهم، واشتباك الجنود مع الشباب، وفرض منع التجول للشباب الفلسطينيين؛ بحيث استطاع السارد أن يرسم حياة الناس والشباب الفلسطينيين بعد الانتفاضة بكل تفاصيلها وفى عباراة موجزة إلى القارئ. المثال التالى خير دليل على هذا الموضوع، بحيث نشاهد إن السارد قد دخل إلى فكر الشخصية، حسام، وقام بنقل أفكاره إلى القارئ، ومن خلال سرد أفكار حسام يلمس القارئ المسائل التى يواجهها الشباب الفلسطينيين خلال السنوات الأولى للإنتفاضة فى عبارات قليلة ومكتظة:

«لَم يَجِبها وَظَلّ غَارِقاً فِى التّفكيرِ يُخَطِّطُ لِلهَرَبِ، وَلكِن كَيفَ؟ سَدّوا فُوهَةَ الزّقاقِ المُؤَدّى إلَى بَابِ السّاحَةِ بِبَوّابَةٍ مُسَلّحَةٍ بِالحَدِيدِ وَالإسمِنتِ. فَرَضُوا مَنعَ التَجوّلِ، وَخِلالِ المَنعِ نَصَبُوا البَوّابَةَ المَعهُودَةَ. بَراميلُ مَلَأُوها بِقِطَعِ الحَدِيدِ وَالإسمِنتِ المُسَلّحِ. صَفُّوها فَوقَ بَعضِها حَتّى سُدَّت فُوهَةُ الزُّقاقِ. وَفِى الفُوهَةِ الأُخرَى وَضَعُوا نُقطَةً يَتَدَلّى مِنها عَلَمٌ كَبِيرٌ يُغَطّى نَوافِذَ الدّارِ السُفلَى وَيَحجُبُ الضَوءَ عَن السُّكانِ. لا أحَدَ يَخرُجُ أو يَعبُرُ بِدُونِ تَدقِيقٍ بِالهُوِيّاتِ وَتَفتِيشٍ»(المصدر نفسه: ٦٩)

العبارة التالية نموذج من أفكار سمر التى قد سرد بلسان السارد:

«وَبِسُرعَةِ البَرقِ تَبادَرَ إلَى ذِهنِها كُلُ ما سَمِعَتهُ عَنهُ. أحمَدُ الطِّفلُ بِلا أطفَالٍ، أحمَدُ يَبكِى، يَحلُمُ بِالهَرَبِ مِن الواقِعِ لأمِيركا وَمادُونا وَدالاس، ثُمّ المَأسَاةُ،

وَالأُمُّ المَذبُوحَةُ فِي السَّاحَةِ، وَنُزهَةُ المَقطُوعَةُ مِن شَجَرَةٍ»(المصدر نفسه: ١٧٩)

سرد أفكار سمر فى العبارة السابقة قد رسم للقارئ كل الحوادث التى قد وقعت فى حياة نزهة وأخيها أحمد، الذى ظل الآن مطارداً فى البرارى والجبال.

٣.الفكر غير المباشر الحر

يمتزج فى هذا الأسلوب كلام الراوى بكلام الشخصية فى عبارة واحدة ونستطيع أن نميز بين كل من الصوتين، صوت السارد وصوت الشخصية صاحبة الكلام، فلا يلغى السارد كلام الشخصية ولا تلغى الشخصيات صورة كلام السارد، وهو فى حقيقة أسلوب وسط بين التقرير السردى لأفعال الحديث والأسلوب الحر المباشر(عامر، ٢٠١٠: ١٧٠).

أن هذا الأسلوب قد احتل المقام الثالث فى الرواية حضوراً. على سبيل المثال نشاهد فى صفحة ٢١ من الرواية، قد مزج السارد كلامه السردى بالفكر المباشر للشخصية، الست زكية. ونشاهد فيه امتزاج فكرين فكر الشخصية المتحدثة الذى قدوضع الخط تحته وكلام السارد.

«وَفَكَّرَت الستّ زَكِيَّةُ. فَكَّرَت بِحُسامٍ وَبِبَناتِها المُتَزَوِّجاتِ فِي الكُوَيتِ وَالسُعُودِيَّةِ وَعُمانَ. مُنذُ بِدايَةِ الإنتفاضَةِ لَم تَسمَع مِنهُنَّ، وَقَد لا تَسمَعُ منهُنَّ حَتَّى نِهايةِ الإنتِفاضَةِ. وَلكِن، هَل سَتَكُونُ للإنتفاضَةِ نِهايَةٌ؟ أَلِكُلِ هذا الخَوفِ وَالقَلَقِ وَالدَّمِ النّازِفِ نِهَايَةٌ؟»(خليفة، ١٩٩٩)

إن العبارة السابقة تبين لنا إن الانتفاضة سببت لكى تفرق أسرة الست زكية فى البلدان العربية المختلفة وإنها لم تسمع شيئاً من بناتها المتزوجات فى مختلف البلاد العربية، ولهذا السبب تلجأ إلى أفكارها وتناجى مع نفسها وهذه المناجاة قد اختلط بالتقرير السردى للسارد وخلق أسلوب الفكر غير المباشر الحر. ومن ميزات هذا الأسلوب التعدد الصوتى الذى يسبب لكى وسم السرد بالحيوية والتوهج والجاذبية ويؤثر فى القارئ أكثر فأكثر. هذه العبارة مثال آخر الذى قد مزج فيها فكر الشخصية، *حسام*، مع كلام السارد:

«...وَرُبَّما كانَتِ الأسبَابُ أكثَرَ تَعقِيداً مِمّا يَتَصوَّرُ البَعضُ، وَلكِنَّ النَتيجةَ واحدةٌ عَلَى أيِّ حَالٍ. وَفِي هذا الظّرفِ، وَحِينَ تَحشُرُ فِي الزّاوِيَةِ لَن تَجِدَ الوَقتَ

لِلُبسِ المَسمُوحِ. وَلا وقتَ لِمَريمَ المَجدَليَّةِ وَالخدِّ الأيسَرِ. أنتَ الآنَ فِي مأزَقٍ، وَالطّريقُ مَسدودٌ وَأنتَ مُطارَدٌ. أنتَ الضَّحيَّةُ وَالجَلّادُ، وَإذا جَلَدُوكَ بِكَفِّ الضّحِيَّةِ؟ ضَحِّ بِها مِن أجلِ الغَدِ. لابُدَّ مِن أنقاذِ سَمَرٍ، وَلكِن كَيفَ؟»(المصدر نفسه: ٩٨ و ٩٩)

فى المثال السابق، ينتقل السارد موقف حسام حيال الحوار الذى يجرى بين نزهة وسمر. لهذا الأمر قد استعمل الفكر غير المباشر الحر. وفى الفقرة نشاهد فكرين: فكر الراوى الذى قد جاء فى القسم الأول من العبارة وفيه قام السارد بترسيم أفكار حسام بألفاظه وعباراته. فى القسم الثانى نشاهد فكر الشخصية حسام، الذى يذهب السارد إلى جانب ويجىء أفكار حسام بصورة مباشرة أمام القارئ. العبارات التى قد رُسم الخط ذيلها من هذا القسم.

مع التأمل فى الفكر المباشر السابق نفهم أن الرواية «تعالج موضوع الانتفاضة من منظور خاص، فهى رؤية نقدية للانتفاضة، لكنها رؤية من الداخل أى من داخل الانتفاضة، وهو ما يمكنها من الكشف وتجسيد قيم فنية تتضافر مع القيم السياسية والاجتماعية فتزيد فعاليتها»(عزيز ماضى، ٢٠٠٥: ٣٩).

والعبارة التالية مثال آخر من هذا الأسلوب، الذى قد امتزج فيها صوت السارد مع فكر الشخصية، نزهة:

«هَمهَمَت نُزهَةُ وهِيَ مَازالَت تُحرّكُ الشّورِبَةَ. الخَيرُ والبَرَكَةُ! أيُّ خَيرٍ وَأيَّةُ بَرَكَةٍ؟ بَعدَ أمِّها هَل بَقِيَ خَيرٌ؟ وَبعدَ أحمَدَ هَل بَقيت بَرَكَةٌ؟ ثُمَّ هَذِهِ السَّتُ اللّى وَلا ألطَفُ مِنها، مَاذا عَمِلَت لِتُثبِتَ هَذا اللُّطفَ؟ حَتَّى الصَّباحِ استَكثَرتهُ عَلَيها، وَالآنَ ها هِيَ تَحتَلُّ مَنزِلَها كَما احتَلَّهُ ابنُ أخِيها! وَفَوقَ هَذا كُلِّهِ، الكِبرَةُ المَحمَضَةُ وَشوُفَةُ الحَالِ. واللهُ عالِ! يأكُلُوا أكلَكِ وَيَخِرُّوا بِذُقنِكِ يا نُزهَةُ. وَالّا المَواعِظُ، أعُوذُ بِاللهِ! قالَ فَوقَنا خَراً وتَحتَنا خراً وَنَقُولُ رَيحَةَ خراً. وَمش ناقَصَ عَلَينا إلّا التَّسبِيحُ! وَلُبسُكِ وشَكلُكِ وطُولُكِ وعِرضُكِ ويا كَسرَةَ قلبِكِ يا نُزهَةُ! مش ناقَصَ غَيرُ يَلبَسُوكِ يانِس وَتَنُّورة صَلاة. نَسيوا الأفندِيَةَ مَعَ مِين بيحَكُوا وَفِين قاعِدِينَ! دارُ التّعريصِ. اللّى انتُوا فِيها دارُ تَعريصٍ.

والأكلُ اللّي بتاكُلوهُ مِن مالِ التَّعريصِ. وَحتّى هَالشُّورِبَةُ، شُورِبَةُ تَعرِيصٍ»
(المصدر السابق: ١٢٠)

القسم الأول فى المثال السابق قد سرد بلسان السارد والعبارات التى قد خطت ذيلها قد جاء بلسان فكر نزهة. هذه التعددية الصوتية أدت إلى تأثير الموضوع فى القارئ بصورة قوية. وهذه العبارة تبين لنا أن هذه الرواية تميزت برؤية نقدية للانتفاضة. بحيث اهتمت الرواية «بتجسيد رؤية الشخصيات النسوية للانتفاضة، وهى رؤية جديدة ومغايرة للمألوف. ومع أن معظم هؤلاء النسوة من المشاركات فى فعاليات الانتفاضة، فإن التركيز يتم على تصوير العلاقة بين الانتفاضة وأوضاع المرأة وأحوالها ورؤية المجتمع للمرأة فى ظل الانتفاضة (...) وبعبارة أخرى أكثر دقة تجسد رؤية نسوية لمنظومة القيم فى ظل الانتفاضة»(الوالى، ٢٠٠٦: الموقف الأدبى).

قسم من الفكر غير المباشر الحر فى الرواية يتعلق لشخصية حسام. كالمثال التالى:

«نَظَرَ إليهَا، وَكانَت مَازالَت تُطَرِّزُ كَكُلِّ لَيلَةٍ، مَرَّت أيامٌ وأسابيعُ، ثَلاثَةٌ، أربَعَةٌ، عَشرَةٌ، أشهُرٌ، ما عَادَ يَعرِفُ أو يَذكُرُ. لكِن، الآنَ، وَهُوَ يُقارِنُ مَا بينَ الماضِى وَالحَاضِرِ، وَنُزهَةُ اليَومِ ونُزهَةُ الأمسِ، يَعرِفُ كَم قَطَعَ مَسافَاتٍ. فَرُغمَ المَرَضِ ورُغمَ الجُرحِ استَطاعَت نُزهَةُ أن تَكبُرَ، أو رُبَما استَطَاعَ حُسامُ أن يَكبُرَ. فَمَا مَعنَى هَذا وَمَعنَى ذَاكَ؟ سَكينَةُ، وَالّدارُ المَشبُوهَةُ، وَسُقُوطُ المَرأةِ والبِيئَةِ؟ مَنِ المَسؤُولُ عَنِ التّعهِيرِ؟ سَكينةُ الشَقراءُ المَغلُوبَةُ أم الحاجُ إسكَندَرِ وَالمَربُوطُ؟ مَن مِنهُم لَم يُدلِ بدَلوِهِ»(المصدر نفسه: ١٧١)

فى هذه العبارة قد مزج فكر حسام مع كلام السارد. القسم الأول من النص قد سرد بلسان السارد والقسم الثانى منه- الذى قد خط ذيلها- قد سرد بلسان أو فكر الشخصية حسام. وفى هذا الفكر المباشر لحسام نرى نوع من التغيير فى رؤيته أمام نزهة وحسام بعد التعرف لنزهة ومن قريب، يرى أن سقوط نزهة وأمها ليس قدراً، بل هو نتيجة لتفاعل الظروف الموضوعية المعقدة والعوامل الذاتية. *وحسام* يرى إن العوامل الإجتماعية والبيئة قدسببت فى انحراف *نزهة* وأمها ويجب أن يتعامل مع هذه العوامل مثل ما تعامل مع نزهة. والعبارة السابقة ترينا إن الرواية قد تبدو للوهلة الأولى نصاً عن الإنتفاضة، وقراءة الرواية تقول بشىء آخر، فهى نص عن وضع المرأة فى الوعى المنتفض، فقد كتبت سحر

عن قهر المرأة فى لحظات زمنية مختلفة، ورأت فى الإنتفاضة لحظة زمنية جديدة، وعاينت فيها وضع المرأة من جديد(دراج، ١٩٩٦: ٢٥٦).

٤.الفكر غير المباشر

هذا الأسلوب قائم على التصريح فى النص على بداية العبارات الدالة على الفكر، مع الاحتفاظ بضمير الغائب(الكردى، ٢٠٠٦: ٢١٦). استعمال هذا الأسلوب فى الرواية قليل ولا يتجاوز عن خمسة مرات، ومن المواضع التى قد استعمل هذا الأسلوب هذه العبارة:

«تُساعِدُها؟ هِيَ لَيسَت صَغيرةَ سَمَر لِتَحمُلَ الأفكارَ وَنوايا السَّذَجِ، فَهَذه أيامُ نَحسٍ»(خليفة، ١٩٩٩: ٣٠)

فى العبارة السابقة فكر الست زكية قد نقل إلى القارئ مع ألفاظ وعبارات السارد إلى القارئ. كما نلاحظ فى العبارة إن جملة "أساعدها" قد بدلت إلى "تساعدها" وهذا الأمر قد أدى إلى أن يبدل الفكر المباشر إلى الفكر غير المباشر.

المثال التالى نموذج آخر من استعمال هذا الأسلوب فى الرواية:

«تَأمَّلَتها سَمَرُ بِجُمُودٍ، فَمَاذا بِاستِطاعَتِها أن تَفعَلَ وتَقُولَ هُنا؟ تَفتَحُ نِقاشاً مَعَ نُزهَةَ؟! وَصَمَتت كُلِّياً، وَكَذلِكَ نُزهَةُ»(المصدر نفسه: ١٠٦)

فى العبارة السابقة، العبارات التى قد وضع الخط تحتها، كلها قد جاءت بصيغة الغائبة وهذا الأمر قد أدى إلى تحويل الفكر المباشر الذى يجىء بصيغة المتلكم إلى الفكر غير المباشر.

٥.الفكر المباشر الحر

ويعد هذا الأسلوب، من أكثر الأساليب السردية انتشاراً فى الروايات المعاصرة ذات الطابع النفسى. وهو أسلوب يختفى فيه صوت السارد تماماً، وتظهر أفكار الشخصيات مباشرة دون وسيط، لتعلن عما يدور فى ساحة الذاكرة أو الذهن أو الوعى من صور وأفكار وهواجس، بطريقة مسرحية خالصة(الكردى، ٢٠٠٦: ٢٢٣).

والفكر المباشر الحر قد يتيح للقارئ أن يتلقى أفكار الشخصيات مباشرة. حيث تقدم أفكار الشخصيات مباشرة دون تدخل الراوى، كما أنه يبرز الاتجاهات النفسية والفكرية

المختلفة للشخصيات وينقل تفاعل الشخصيات معاً وقد يكشف عن دوافعها ومبرراتها وهو ما يقرب الشخصية من أرض الواقع.

وهذا الأسلوب يسمى أيضاً الحوار الداخلى أو الحوار مع الذات أو المونولوج(حسن، ٢٠٠٤: ٥٧) ومن خصائصه «هو الخطاب دون مستمع، وغير المنطوق به، بواسطته تعبر الشخصية عن فكرها الأشد حميمية، والأقرب إلى اللاوعى، سابقاً عن كل تنظيم منطقى، أى فى حالة ولادته، عن طريق جمل مباشرة مختزلة إلى الحد الأدنى من التركيب، بحيث يعطى الانطباع بالاختلاط، وعدم الإختيار». وعلى هذا فإن الراوى فى هذا النوع من الخطاب يعدل عن التدخل فى أقوال الشخصية، وتغيب وصايته السردية عليها؛ إذ بواسطته، يتم تقديمنا مباشرة إلى الحياة الداخلية للشخصية بدون تدخل أو تعليق أو شرح بأية طريقة من جانب المؤلف(السعدون، ٢٠١٠: ٢٨٢).

فى الرواية يقل استخدام الحوار الداخلى بالمقارنة مع الأساليب الأخرى. وإنه قد إحتل المقام الآخر أو الرابع فى الرواية. وأكثر الحوار الداخلى فيها يتعلق لشخصية حسام، نزهة وسمر. والحوار الداخلى فيها لا يتناول إلا أمور الحياة البسيطة فى حين تتسع مساحة المونولوج فتوضح آثار الهزيمة ونعرف أعماق الشخصيات من خلاله. وقد يكون ذلک إشارة إلى أن الشخصيات فى ذلک الوقت لا ترغب فى التحاور وأن كل الشخصية منعزلة تعيشه داخل نفسها أكثر من الإنسجام والتعاون مع الآخرين. أو قد يكون فى ذلک إشارة للجو السياسى العام المحيط بالمجتمع فى ذلک الوقت.

الفكر المباشر الحر التالى يتعلق لشخصية حسام. إنه يغرق فى أفكاره ويتسائل عن نفسه حول *نزهة* والحالة التى طرحت عليها أثناء الحرب والانتفاضة وحسام يسأل من المسؤول عن تعهير نزهة وأمثالهم؟ وهذا المثال يؤيد أن الراوية «نص عن وضع المرأة فى الوعى المنتفض، فقد كتبت سحر خليفة عن قهر المرأة فى لحظات زمنية مختلفة، ورأت فى الانتفاضة لحظة زمنية جديدة، وعاينت فيها وضع المرأة من جديد»(دراج، ١٩٩٢: ٦) وهذا الفكر المباشر الحر يؤيد هذا الموضوع.

«انتَبَهَ لِنَفسِهِ: مَاذا فَعَلَت بِنَا الانتِفاضَةُ؟ أهِيَ الانتِفاضَةُ أمِ التّوَتّرِ وَالتّشَرُّدِ وَالتّخَبُّطِ؟ هِيَ الحَربُ. وَالأدهى مِن ذلکَ أنَّ النّاسَ لا يَعتَبِرونَها حَرباً. وَمَا نَحنُ فِيهِ ماذا يُسَمّى؟ لِأَنّنا لا نُوجِعُ الطَّرَفَ الآخَرَ بَدَأنا نُوجِعُ أنفُسَنَا. أرفَعُ

يَدى عَلَى امرَأةٍ؟ وَمَاذَا لَو تَطَاوَلَت عَلَى الوَالِدِ؟ ألا يَستَحِقُّ. وَلكـن لَـيسَ مِـن قِبَلِ أمثالِ نُزهَةَ. أمثالُ الوالِدِ لا يقحَمُونَ فِى حِوارٍ كَهَذا. بَخِيـلٌ نَعَـم، قَـاسٍ نَعَم، رَجعِىٌّ، أنَانِىٌّ، انتِهازِىٌّ، مُرابٍ، لكِنَّه لَـيسَ عَمِـيلاً. فَلـيَفهَم هَـذا أمثـالُ نُزهَةَ. أعمَـالُ التَجسُّـسِ لَيسَـت كَأعمَـالِ التِّجـارَةِ، وَتَسـليمُ الشَّـبَابِ لَـيسَ كَتَسلِيمِ البِضَاعَةِ، وَبَيعُ الأرضِ لَيسَ كَبَيعِ رُؤوسِ الَبشَرِ»(خليفة،١٩٩٩: ٧۶)

وقسم من الحوار الداخلى فى الرواية يتعلق لشخصية الست زكيـة. وإنهـا تبـدو حـائرة ومتعجبة حول العمل الذى يمكن أن يرتكبه حسـام وهـو قتـل سـكينة، أم نزهـة، ولهـذا السبب تلجأ إلى أفكارها وتتسائل عن نفسها:

«تَسَاءَلَت: أمِنَ المَعقُولِ أن يَكُونَ واحِداً مِـنهُم؟ هَـذا الوَجـهُ النَـاعِمُ كَوُجُـوهِ البِناتِ، وَالعُيُونُ النّاعِسَةُ وَالصَّوتُ الهادِىءُ. أمِنَ المَعقُولِ أن يَكُونَ كَمَا يُقَالُ؟ لكِنّهُ مُؤمِنٌ وَيَخافُ اللهَ، وَيَخـافُ عَلَـى النّملَـةِ مِـن نَعلِـهِ، أمِـنَ المَعقُـولِ؟» (المصدر نفسه: ۴٠)

نتيجة البحث

بعد دراسة الخطاب السردى فى رواية «باب الساحة» وصلنا إلى هذه النتيجة ان الراوى قد استخدم من الأساليب المختلفة لاستحضار الأفكار فيها. بحيـث احتـل الفكـر المباشـر المقام الأول حضوراً فى الرواية، ثم يجىء التقرير السردى للأفكار والفكر غير المباشر الحـر اللذان قد إحتلا المقام الثانى والثالث. واستعمال الفكر المباشر الحر والفكـر غيـر المباشـر قليل فى الرواية ولا يجاوز عدة مرات.

فى سبب ذلک يمكن القول إن الظروف السياسية الموجودة فى فلسـطين آنـذاک قـد دفع السارد إلى أن يرسم عالمه الروائـى مـن خـلال الفكـر المباشـر أو التقريـر السـردى للأفكار. وفى بعض الأحيان يقوم السارد بنقل أفكار الشخصيات من خـلال الأسـلوب الحـر غير المباشر الذى يختلط فيه كلام السارد مع فكر الشخصيات.

إن السارد بالأسلوب المباشر لاستحضار الأفكار قد دخل إلى أفكـار الشخصـيات وصـوَّر من خلال أفكارهم المباشرة المسائل التى تعانى منها الإنسان الفلسطينى؛ كحبس حسـام فى بيت نزهة، رؤية نزهة السلبية إلى المجتمع والمناضلين والشعب الفلسطينى، إنفرادهـا

فی بیتها وأوضاع الشباب المناضلین فی زمن الانتفاضة، کتشریدهم فی الجبال والأودیة، وحملات الجنود الإسرائیلیة اللیلیة إلی المنازل والنساء والأطفال، واشتباک النساء مع الجنود الإسرائیلیة. قد رسمت کلها من خلال الأفکار المباشرة لسمر. ومعاناة المرأة من ظلم المجتمع والرجال قد رسم من خلال فکر المباشر لنزهة وازدیاد مشاکل النساء بعد الانتفاضة قد صورت من خلال أفکار الست زکیة المباشرة.

إن الروای استمد من التقریر السردی للأفکار لترسیم أفکار نزهة، والست زکیة، وحسام، وسمر. وبعد دراسة مضامین هذه الأفکار السردیة بیَّن لنا إن امور کثیرة کانفراد الست زکیة فی الحیاة، الموقف السلبی لحسام إزاء نزهة وتغییر موقفه حیالها، عزلة وانفراد نزهة فی الحیاة والمجتمع، ومحاصرة الجنود الأسرائیلیة المناضلین الفلسطینین وإلخ قد رسمت بهذا الاسلوب.

إن الراوی باستعانة الفکر غیر المباشر الحر قد صوّرت مسائل کثیرة کتصویر حیاة الست زکیة حزینة بعد الانتفاضة ومشاکلها وتغییر موقف حسام إزاء نزهة، خوف الست زکیة من السیر اللیلیة، وخوفها من حضور سمر فی بیت نزهة و... .إن السارد بهذا الأسلوب قد جاء بأفکار الشخصیات المفکرة وحینما تتطلب الروایة حضور السارد یسرد الراوی بالتقریر السردی ویضیف التوضیحات اللازمة إلی فکر الشخصیات المباشرة.

وفی الختام جدیر بالذکر إن روایة «باب الساحة» هی الروایة الوحیدة التی انعکست سلبیات الإنتفاضة، والکاتبة قدمت القشرة الخارجیة لهذه السلبیات ولم تحاول طرح حلول للتخلص من هذه السلبیات.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

المصادر والمراجع

الاسطة، عادل. ١٩٩٧م، **أدب المقاومة من تفاؤل البدايات إلى خيبـة النهايات**، ط١، فلسطين: وزارة الثقافة.

الجيوسى، سلمى الخضراء. ١٩٩٧م، **موسوعة الأدب الفلسطينى المعاصر**، المجلد الثانى (النشـر)، ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر.

حسن، عمرُ عبيد. ٢٠٠٤م، **الخطاب الغائب**، ط١, بيروت: المكتب الإسلامى.

خليفة، سحر. ١٩٩٩م، **باب الساحة**، ط٢، بيروت: دار الآداب.

درّاج، فيصل. ١٩٩٢م، **دلالات العلاقات الراوئية**، ط١، دمشق: دار كنعان.

الرويلى، ميجان والبازعى، سعد. ٢٠٠٥م، **دليل الناقد الأدبى**، الطبعة الرابعـة، بيـروت: المركـز الثقـافى العربى.

زيدان، جوزيف. ١٩٩٠م، **مصادر الأدب النسائى**، ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

السعدون، انيسة. ٢٠١٠م، **الراوى بين الحكاية والخطاب فى قصص محمد عبدالملك**، ط١، بيـروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

عامر، عزة عبداللطيف. ٢٠١٠م، **الراوى وتقنيات القص الفنى**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة.

عزيز ماضى، شكرى. ٢٠٠٥م، **الرواية والانتفاضة**، ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

الكردى، عبدالرحيم. ١٩٩٦م، **الراوى والنص القصصى**، ط١، القاهرة: دار المعارف.

الكردى، عبدالرحيم. ٢٠٠٦م، **السرد فى الروايۀ المعاصرة**، ط١، القاهرة: مكتبة الآداب.

الكتب الإنجليزية

Leech, Geoffrey & Short. 2007, Mick Style in Fiction A Linguistic Introduction to English, Fictional Prose, Second edition.

المقالات

ابوبشير، بسام على. ٢٠٠٧م، «**جماليات المكان فى روايـة "باب السـاحة" لسـحر خليفـة**»، مجلـة الجامعة الاسلامية(سلسلة الدراسات الانسانية)، المجلد الخامس عشر، العدد الثانى، صص ٢٦٧- ٢٨٥.

بانفيلد، آن. ١٩٩٨م، «**الأسلوب السردى ونحو الخطاب غير المباشر**»، ترجمة: بشير القمرى، مجلـة الآفاق، الدار البيضاء.

خليفة، سحر. ١٩٩٨م، «**أنا وحياتى والكلمة**»، فصول، العدد ١٧، صيف، صص ٢٤٠- ٢٥٠.

مرتاض، عبـدالملك. ١٩٩١م، «**خصائص الخطاب السردى لدى نجيـب محفـوظ**»، فصـول، المجلـد التاسع، العددان الثالث و الرابع، فبراير ١٩٩١، صص ٢٠٧-٢٠٢.٢٢٠/١١/٢٠٠٩.

http://knoll.google.com/

الوالی، مصطفی. ۲۰۰۶م، «**الرواية والانتفاضة لشكرى الماضـى**»، دمشـق، الموقـف الأدبـى، العـدادن ۴۱۷، كانون الثانى.

Sources and References

Osta, Adel. 1997, Literature of Resistance from Optimism of Beginnings to Disappointment of Ends, 1st Edition, Palestine: Ministry of Culture.
Al-Jayousi, Salma Al-Khadra. 1997, Encyclopedia of Contemporary Palestinian Literature, Volume Two (Prose), 1st Edition, Beirut: The Arab Foundation for Studies and Publishing.
Hassan, Omar Obaid. 2004, Absentee Discourse, 1st Edition, Beirut: The Islamic Office.
Khalifa, Sahar. 1999, Bab Al-Saha,, Beirut: Dar Al-Adab.
Darrag, Faisal. 1992, Signs of Narrative Relationships, 1st Edition, Damascus: Kanaan House.
Al-Ruwaili, Megan and Al-Bazai, Saad. 2005, Literary Critic's Guide, Fourth Edition, Beirut: The Arab Cultural Center.
Zidane, Joseph. 1990, Sources of Women's Literature, 1st Edition, Beirut: The Arab Foundation for Studies and Publishing.
Al-Saadoun, Anisa. 2010, The Narrator between the Story and the Discourse in the Stories of Muhammad Abdul-Malik, 1st Edition, Beirut: The Arab Foundation for Studies and Publishing.
Amer, Azza Abdel Latif. 2010, The Narrator and Techniques of Artistic Shearing, Cairo: The Egyptian General Authority.
Aziz Madi, 2005, The Novel and the Intifada, 1st Edition, Beirut: The Arab Foundation for Studies and Publishing.
Al-Kurdi, Abdul Rahim. 1996, the narrator and the narrative text, 1st Edition, Cairo: Dar Al Maaref.
Al-Kurdi, Abdul Rahim. 2006, Narration in the Contemporary Novel, 1st Edition, Cairo: Al-Adab Library.

English Books

Leech, Geoffrey & Short. 2007, Mick Style in Fiction A Linguistic Introduction to English, Fictional Prose, Second edition.

Articles

Abu Bashir, Bassam Ali. 2007, "The Aesthetics of the Place in the Novel "Passage to the Plaza" by Sahar Khalifa, Journal of the Islamic University (Series of Human Studies), Volume XV, pp. 267-285.
Banfield, Ann. 1998, "The Narrative Method and Towards Indirect Discourse", translated by: Bashir Al-Kamary, Al-Afaaq magazine, Al Dar Al Bayza
Khalifa, Sahar. 1998, "I, My Life and the Word," Fosoul, No. 17, Summer, pp. 240-250.
Murt Abdul-Malik. 1991, "The Characteristics of the Narrative Discourse of Naguib Mahfouz", Fosoul, Volume Nine, February 1991, pp. 207-220: 02/11/2009.
http://knoll.google.com
Aln Wali, Mustafa. 2006, "The Novel and the Uprising of Shukri al-Madhi", Damascus, Moqef Al Adabi, Al-Adaadan 417, January.

Research in Contemporary Literature, Year 13, Fall 2021, No. 51, pp. 33-56

Narrative Discourse Analysis in Palestinian Resistance Literature(Case Study: Passage to the Plaza)

Receiving Date: 2021, January,21 Acceptance Date: 2021, April,22

Naeime Parandavaji: Assistant Professor, Arabic Language & Literature, Kowsar University, Bojnord
Parandavaji@kub.ac.ir
Kobra Roshanfekr: Assistant Professor, Arabic Language & Literature, Tarbiyat Modarres University, Tehran
Kroshan@yahoo.com
Maryam Bakhshandeh: Post Graduate, Arabic Language & Literature, Ferdowsi University, Mashhad
Maryambakhshandeh1392@gmail.com
Corresponding author: Naeime Parandavaji

Abstract
Narrative discourse is an important way to represent the actions, words, and thoughts of a story that arises from studying the distance between the narrator and the characters of the story. Leech and Short are among the most important theorists who have divided the methods of representation into five methods: direct, indirect, free direct, free indirect, and the narration of words and ideas. The present article analyzes these methods in a descriptive – analytical method by enumerating the ideas of the novel " Passage to the Plaza " (1990). The research findings show that the narrator has applied direct thought, thought reporting and free indirect thought to construct her fictional world; Because direct thinking allows the characters to express their concerns in various political, social, economic, social and cultural fields to the reader without intermediaries. In the indirect free method, the voice of the narrator and the character are mixed and the story is transmitted to the reader through two voices, enjoying various representations. The author paints a vivid picture of Palestinian society in the early years of the uprising (Intifada).

Keywords: resistance literature, narrative discourse, Palestinian novel, Sahar Khalifeh.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

دراسات الأدب المعاصر، سال سیزدهم، پاییز ۱۴۰۰، شماره ۵۱: صص ۳۳- ۵۶

تحلیل گفتمان روایی در ادب پایداری فلسطین(بررسی موردی رمان دَرِ میدان)

نعیمه پراندوجی*
کبری روشنفکر**
مریم بخشنده***

تاریخ دریافت: ۹۹/۱۱/۲
تاریخ پذیرش: ۱۴۰۰/۲/۲

چکیده

گفتمان روایی شیوه مهمی برای بازنمایی کردار، سخنان و اندیشه‌های داستان است که از مطالعه فاصله میان راوی و شخصیت‌های داستان به وجود می‌آید. لیچ و شرت، از مهم‌ترین نظریه‌پردازان این موضوع هستند که شیوه‌های بازنمایی را به پنج شیوه مستقیم، غیرمستقیم، مستقیم‌آزاد، غیرمستقیم‌آزاد و روایت سخنان و اندیشه‌ها سخن تقسیم کرده‌اند. مقاله پیش رو به شیوه توصیفی- تحلیلی و با شمارش اندیشه‌های رمان «در میدان» (۱۹۹۰) به تحلیل این شیوه‌ها می‌پردازد. یافته‌های پژوهش نشان می‌دهد که راوی از اندیشه مستقیم، گزارش اندیشه، و اندیشه غیرمستقیم آزاد برای ساختن جهان داستانی خود بهره برده است؛ زیرا اندیشه مستقیم به شخصیت‌ها اجازه می‌دهد تا دغدغه‌های خود در عرصه‌های مختلف سیاسی، اجتماعی، اقتصادی، اجتماعی و فرهنگی را بدون واسطه در اختیار خواننده بگذارند. در شیوه غیرمستقیم آزاد، صدای راوی و شخصیت در هم می‌آمیزد و داستان از خلال دو صدا به خواننده منتقل شود. نویسنده با استفاده از شیوه‌های مختلف بازنمایی تصویری گویا از جامعه فلسطینی در سال‌های اولیه انتفاضه را ترسیم کرده است.

کلیدواژگان: ادبیات پایداری، گفتمان روایی، رمان فلسطینی، سحر خلیفه.

* استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه کوثر بجنورد، بجنورد، ایران. Parandavaji@kub.ac.ir
** استاد گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه تربیت مدرس، تهران، ایران. Kroshan@yahoo.com
*** فارغ التحصیل دکترای زبان و ادبیات عربی دانشگاه فردوسی مشهد، ایران. Maryambakhshandeh1392@gmail.com
نویسنده مسئول: نعیمه پراندوجی